الامر الواقع مستحيل بدون مساهمة اسرائيل في هذا التغير بالشكل الذي يضمن لها ليس فقط السيادة المطلقة على الاجزاء المحتلة عام ١٩٤٨ ولكن بضمان شكل من السيادة العسكرية والاقتصادية (الاتحاد الفيدرالي) على المناطق المحتلة عام ١٩٦٧ . اذا كان ابو شلبابة يمثل حقا مثل هذا الاتجاه — وهذا تخمين يحتاج الى المزيد من الاستقصاء — فان الكتاب يمكن اعتباره جزءا من الردة السلبية على الاحتلال والتي بدأت تعم أوساطا رسمية وشعبية عديدة في الوطن العربي منذ قبول بعض الحكومات العربية للحلول السلمية (قبول الهدنة ، قرار مجلس الامن ٢٤٢ ، مهمة يارينج ، مشروع روجرز ، وساطة منظمة الوحدة الافريقية) .

وبغض النظر عن الحجم الجماهيري الضئيل الذي تمثله فكرة قيام دولة فلسطينية « مستقلة » تحت ظروف الاحتلال والاغتصاب الاسرائيلي اذا ما قيست بالحجم الجماهيري الذي تمثله فكرة قيام دولة فلسطينية ديموقراطية تحت ظروف الكفاح المسلح لاجل تحرير كل شبر من الارض المحتلة كشرط اساسي لقيام مثل هذه الدولة ، سنحاول بالقدر الذي تستطيع أدوات التحليل السياسي مساعدتنا في ذلك ، ايضاح ابعاد الهوة الفكرية التي تفصل بين المنطلق الثوري والمنطلق الاستسلامي في النظر الى حل مشكلة الاحتلال ، وسوف يؤدي هذا الايضاح الى تبيان مدى تأثير هذه الهوة على مسيرة التحرير الفلسطينية .

والهدف من هذا التحليل هو ليس اعطاء كتاب ابو شلبابة أهمية أكثر من التي يستحقها بقدر ما هو اعتبار الكتاب نموذجا للاراء والافكار التي يمكن ان تنشأ لدى فئة من المثقفين تعيش اليوم في فلسطين تحت عوامل سياسية واجتماعية تتحكم فيها قوانين الاحتلال وتوجهها مصالح القوة المحتلة . ويدل وجود مثل هذه الافكار وعملية الاقدام على نشرها في كتاب انه بينما ترفض قيادة الثورة الفلسطينية اي تفكير في وضع الثورة موضع مساومة في سوق العروض السياسية لاقامة دولة فلسطينية تكرس الاحتلال محليا ودوليا وتقدم ثمنا لهذا الرفض آلافا من الشهداء تعلو في المناطق المحتلة — وفي بعض العواصم العربية — اصوات (لم يجر لغاية الان تقييم وزنها سياسيا) تدعو الى اضفاء الشرعية على واقع الاحتلال الاسرائيلي باعتبار الدولة الاسرائيلية شريكة لشعب فلسطين في أرضه ولا بد ان تلتقي هذه الدعوة (سواء بقصد او بغير قصد) مع ادعاءات السلطات المحتلة بديموقراطية الاحتلال وانسانية الحكم في المناطق المحتلة اذا ما قورنت بما يلاقيه الانسان الفلسطيني اينما حل . (هذا الادعاء ادعاء محبب لجميع الاجهزة الصهيونية العاملة حاليا في الداخل والخارج وقد كرره اكثر من مسؤول اسرائيلي في مناسبات عديدة وهو أكثر الادعاءات استعمالا في المناقشات والندوات التي يشترك فيها يهود او صهاينة للرد على انصار الثورة الفلسطينية في الخارج .)

وفي اعتقادنا ان اظهار خطر هذه الافكار لا يتم بمجرد استعراضها وتحليلها ومعرفة دوافعها ومصادرها اذ أن هذه العملية تتطلب دراسة وتحليل كل ما يصدر وينشر ويوزع من ادب سياسي وصحافي واعلامي داخل المناطق المحتلة (١٩٤٨ و ١٩٦٧) . ولكنه يمكن القول بثقة ان أمر مواجهة خطر هذه الافكار يتطلب بجانب المقاومة المسلحة وتقوية قواعدها والاكتاب في تنظيماتها السياسية والعسكرية في داخل المناطق المحتلة ايجاد المؤسسات والروابط الاجتماعية والاقتصادية المتيئة بين قيادة الثورة الفلسطينية وجماهيرها في المناطق المحتلة ، فاذا كانت العمليات العسكرية تحقق حاليا جزءا نسبيا من ايجاد التفاف شعبي عفوي حول هذه القيادة فان تنظيم هذا الالتفاف وترجمته الى رفض جماهيري مطلق لاي مظهر من مظاهر الاحتلال يتطلب في المرحلة الاولى التركيز على التثقيف السياسي والتوعية الاعلامية الهادفة الى ايجاد فكر ثوري سائد في المناطق المحتلة لا تستطيع عملية الاحتكاك اليومي بالسلطة المحتلة واجهزتها ان تنفذ من خلاله — مباشرة او غير مباشرة .

تحليل محتوى الكتاب حسب تسلسل فصوله

الفصل الاول : اقامة دولتين في فلسطين : ان عنوان هذا الفصل كما يتبين من الآراء المطروحة فيه يعيد الى الاذهان مشاريع التقسيم العديدة التي تبركتها سلطات الانتداب البريطاني والحركة الصهيونية قبل عام ١٩٤٨ والمشروع الجديد الذي يقترحه ابو شلبابة في هذا الفصل ليس الا عملية تجميل لوجه قبيح أطل على الجماهير الفلسطينية في عدة مناسبات عسيرة كلما احتدمت رغبات هذه الجماهير الحقيقية مع مرحلة من مراحل تنفيذ المخطط الاستعماري الصهيوني للاستيلاء على